مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 28 عدد: 4 (رت 78) السنة: 2024

السياسة المنتهجة لإعادة بعث التعليم الأصلي في الجزائر

Adopted reformation to revive Original Education in Algeria

جميلة حيدرة[1]

جامعة أحمد زبانة، غليزان، الجزائر

djamila.haidara@univ-relizane.dz

تاريخ الوصول 2024/02/21 القبول 2024/05/01 النشر على الخط 2024/06/15

Received 21/02/2024 Accepted 01/05/2024 Published online 15/06/2024

ملخص:

المقال هو بحث، يستعرض الدور التربوي لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر ممثلا في التعليم الأصلي خلال الفترة من 1964 إلى غاية 1976، كونها تجربة عبّرت عن مظهر من السياسة الوطنية في مجال التربية والتعليم، وواجهة ثقافية خالصة عن المجتمع، كما يسعى البحث أيضا إلى الإلمام بما حققته التجربة من مردودية تربوية تعليمية. ولأن الدراسة ذات مقاربة سوسيولوجية وتاريخية، فقد استخدم المنهج التاريخي، واعتمد في جمع معطيات البحث على مصدرين، الأول هو الوثيقة لإعادة تركيب المشهد السوسيولوجي والثاني هو الجداول الإحصائية للحاجة إلى معطيات كمية في التحليل: من إقبال على التعليم الأصلي، نسبة النجاح وتطور عدد المعاهد المفتوحة.

خلص البحث إلى نتيجتان: تمثلت الأولى في أن مؤسسات التعليم الأصلي كانت جزءا من المنظومة التربوية خلال الفترة 1964-1976، حيث سدّت فراغا ثقافيا في ميدان المعرفة الإسلامية الصحيحة، أما النتيجة الثانية فالتجديد على مستوى التعليم التقليدي بتنويع مناهج التدريس، ساهم في تأصيل العلوم الشرعية بلغة العلم وحفظ البنية الفكرية الدينية للمجتمع.

الكلمات المفتاحية: تعليم أصلي؛ نظام تربوي؛ مؤسسة تعليمية؛ الجزائر؛ مولود قاسم؛

Abstract:

This article reviews the educational role of the Ministry of Religious Affairs and Wakf in Algeria represenred by Original Education during the period from 1964 to 1976, as it was as an experience that expressed national political in education and a pure cultural interface for society. It also aims to know what this experience achieved like results or educational returns. Because the study has an historical and sociological approach, so, an historical method was used. We refer for collecting informations to two sources, documents to construct the sociological scene and the statical tables because we need a quantitive informations for analysis, like demand for original education, the success rate and evolution of the opened school number's.

We reached two results, the first that the institutions of Original Education were part of the education system between 1964 and 1976 by cultural formation in truth Islamic cognition. In Second, the Original Education is a renovation of ancient traditional and religious education, this modern method contribute to gives scientific basis to Islamic science's and protects the intellectual religious people's structure of any framing.

Keywords: *Original education; Educational system; Educational institution; Algeria, Mouloud Kacim.*

[1] المؤلف المراسل: **جميلة حيدرة** البريد الإلكتروني : **dj.haidra@yahoo.fr**

1. مقدمة:

لم يكن التعليم الأصلي مجرد تجربة تربوية، بل جاء في سياق تاريخي تمثل في خروج الجزائر من الاستعمار الفرنسي وهي حديثة عهد بذلك. إن التعليم الأصلي لم يكن مجرّد استرجاع وبعث للمعلم الروحي الثقافي والديني للبلد سنة 1962، بل تحديا لسياق سوسيولوجي راهن يعاني مخلفات الاستعمار الثقافية، كذلك الانعكاسات التي ستلقي بظلالها على المجتمع مستقبلا بفعل شكل التعاون الذي اتخذته العلاقات الفرنسية الجزائرية، التي تكشّف منها إرادة فرنسا في عدم التخلي عن إرث دام 132 سنة، من خلال *اتفاقيات ايفيان*، كانت القضية الثقافية –ممثلة بالتعاون في مجال التربية والتعليم– من القضايا الحسّاسة التي أطرها شكل العلاقات ين البلدين، لارتباطها بالمؤسسات التربوية والثقافية المعنية بالتسيير والحفاظ على الرأسمال الثقافي الفرنسي في الجزائر.

فكان لتجربة التعليم الأصلي أن تساير الفترة الزمنية نفسها للعلاقات الفرنسية الجزائرية مثلما هندس لها الجنرال *Charles DE GAULLE* من 1962 إلى غاية 1970، فجاءت التجربة في سياق اجتماعي وتاريخي هام من إعادة استرجاع الهوية، جعل التعليم الوطني عموما داعما لها، عبّر عنه العلامة مولود قاسم نايت بلقاسم: (التعليم هو الأساس، وهو الوسيلة الأولى في بناء الأمة...)(رشيق، 2022، ص 603).

الدراسات السابقة

نظرا لأهمية الحقبة التاريخية التي عقبت استقلال الجزائر فقد تناولته كثير من الدراسات الأكاديمية بالبحث، أما بالنسبة لموضوع هذه الدراسة فلم نعثر على دراسات قريبة من الموضوع، ربما لأن الدراسات التي عثرنا عليها تطرقت أو أشارت إلى بعض الجواتب منه في سياق عام، واقتصر اعتمادنا على دراستين قد أشرنا إلى بعض النقاط التي تلتقي فيها هذه الدراسة مع بعض العناصر منها، نستعرضها كالآتي:

أجرى تاحي (2007) دراسة هدفت إلى إبراز شخصية العلامة مولود قاسم نايت بلقاسم كنموذج للمثقف الجزائري المنفتح على الثقافتين العربية والإسلامية والثقافة الغربية، مستعرضا سيرة العلامة ومرجعيته الفكرية والسياسية. أسفرت هذه الدراسة عن استخلاص صاحبها للنتائج التالية: مولود قاسم نايت بلقاسم كان مثقفا يحمل مشروعا نهضويا للمجتمع من خلال إحياء التعليم الأصلي كتعليم تقليدي في الجزائر ومشاريعه الفكرية والعلمية من ملتقيات الفكر الإسلامي ومجلة الأصالة، أنه وسّع من دائرة النشاط الثقافي لتشمل القاعدة الشعبية الجماهيرية ومن مستوى المثقف إلى مستوى المثقف والسياسي، نموذج مولود قاسم هو مثال للمثقف الجزائري المنفتح الذي ينفلت من إشكالية المثقف ذو التكوين العربي والإسلامي والمثقف ذو التكوين الفرنسي، الرصيد التارخي لمولود قاسم إذ كان مناضلال في صفوف الحركة الوطنية ومسار تكوينه العلمي بجامعات الغرب والشرق جعل منه مثقفا توافقيا على المسنوى الإيديولوجي الفكري، هو واضع لمصطلح الإنية مرادفا للمفهوم الغربي identité أي الهوية الذي نقله وترجمه المشارقة عن الغرب، حيث ضمّن مفهوم الإنية أربعة أركان متكاملة هي الدين، اللغة، التاريخ والوطن. كما أنه تعلّق بالإنية والأصالة من جهة والتطور والتفتح على عالم اليوم وبهذا أعطى للأصالة معنى الحركية والتفتح لا الثبات والسكون.

دراسة أخرى وهي دراسة قترار (2006) حول دراسة المسار الدراسي والمهني والوضعية الاجتماعية لنخبة مثقفة جزائرية خريجة معاهد التعليم الأصلي الذي كان سائدا خلال الفترة 1965 – 1976 وواصلوا دراستهم الجامعية ، والتعرّف على مواقفهم إزاء أهم القضايا المطروحة وطنيا مثل قانون الأسرة، قسم التعريب، إدراج الأمازيغية في التعليم. خرجت الدراسة باستنتاجات عامة حول

هذا الموضوع، نوجزها كالتالي: أن خريجي معهد بلكين في غالبيتهم من أصل اجتماعي ريفي، مما دفعهم إلى الالتحاق بالمدارس القرآنية ثم معاهد التعليم الأصلي مما يشير إلى أن مؤسسة بلكين للتعليم الأصلي كانت وسيلة للارتقاء الاجتماعي لدى طلّابها. إن المرجعية الثقافية لم تكن المحدد لبناء تصورات خريجي معهد بلكين للتعليم الأصلي، بل هناك عوامل تعلقت بالتغيرات الاجتماعية، بما فيها التغيرات الاقتصادية وعمليات التثاقف. وجود تشابه في الآراء حول المواقف إزاء قضايا معينة، ولكن في الوقت نفسه لم تصل إلى حدّ الإجماع حول أي قضية بنسبة تزيد عن 60 %.

إشكالية الدراسة وأسئلتها

وضع حجر الأساس لمعاهد التعليم الأصلي عقب اجتماع *اللجنة العليا لإصلاح التعليم* سنة 1969، وأسس نظام التعليم الأصلي (رشيق، 2022، ص 603)، تحت وصاية وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي ابتداء من 1970، استحدث لهذا النوع التعليمي مديرية التعليم الأصلي على مستوى الوزارة الوصية (الجريدة الرسمية، 1968، رقم 68-87)، مهمتها اقتراح ما ينهض بهياكل التعليم الشرعي.

عنيت المعاهد بداية بالتخفيف من حدّة الأمية التي ورثتها الجزائر جراء الاستعمار، ثم تطورت إلى نوع تعليمي جديد هو نظام التعليم الأصلي، يجمع بين الأصالة والمعاصرة بانفتاحه على النظم التربوية الحديثة والآفاق الجديدة التي طمح إلى بلوغها أمام تزايد الطلب الاجتماعي على التعليم.

وتتمثل مشكلة الدراسة في تتبع السياسة التي انتهجها القائمون على وزارة الشؤون الدينية خلال الفترة من 1964 إلى غاية 1976 في النهوض بهذا النوع التعليمي وماهية الأهداف التي سعى إلى تحقيقها في إطار السياسة الوطنية للبلاد، خاصة وأنها جاءت في فترة مواجهات ثقافية ولغوية مع الوجود الاستعماري سابقا، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1/ فيما تتجلى مظاهر التحديث التي مسّت التعليم التقليدي؟

2/ وماهي الأهداف التربوية والوطنية التي سعى إليها القائمون على التعليم الأصلي؟

ونقدّم الأطروحات أو الفرضيات التالية للنقاش:

الأولى، *تحديث المناهج التربوية من شأنه أن يسهم في التدريس الصحيح لعلوم الدين.*

الثانية، *التعليم الأصلي يعزز الانتماء إلى الهوية الواحدة نظرا لبعده الوطني.*

أهمية الدراسة والهدف

تنبع أهمية الدراسة من الجوانب التالية:

1/ تسلط الضوء على جزء هام من الواقع التربوي الذي عرفته الجزائر بعد الاستقلال، خلال الفترة الممتدة من 1962 إلى غاية 1976.

2/ مساهمة في دراسة التاريخ الثقافي للجزائر، فالتربية والتعليم واجهتا المجتمع وحافظتا خصوصياته الثقافية والحضارية من لغة، دين وتاريخ.

3/ فتح الدراسات السوسيولوجية على دراسة الوقائع التاريخية عن طريق الفهم لا السرد، وهي المقاربة المنهجية لعلم الاجتماع القائمة على البحث عن مسببات الظاهرة وتفسيرها.

ومن خلال البحث في الموضوع، نحاول الوصول إلى الهدف التالي وهو التعرّف على مظاهر التجديد التي عرفها التعليم الأصلي كنوع تعليمي تقليدي في الجزائر منذ الفتوحات الإسلامية، حتى يستجيب لتطلعات التربية والتعليم بالجزائر في نموذجها الحديث.

التعريفات الإجرائية

التعليم الأصلي: نعرّف التعليم الأصلي إجرائيا على أنه تعليم يجمع بين العلوم الدينية والوضعية (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2010، ص-)، أشرفت عليه مديرية التعليم الأصلي التابعة لوزارة الأوقاف والتعليم الأصلي في الجزائر، ينطلق من المرحلة الابتدائية إلى غاية آخر مرحلة توافق مرحلة التعليم العام وهي الثانوية، يدرس طلابه مواد التعليم العام وتعليم علوم الدين واللغة العربية.

التعليم في الجزائر: نقصد به إجرائيا العملية التربوية التي أشرفت عليها *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين* فترة الاستعمار الفرنسي ثم التعليم كنظام تربوي وطني بعد الاستقلال، الذي تقاسمته وزارة التربية (التي عرفت بوزارة التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي) ووزارة الأوقاف والتعليم الأصلي، وكان سائدا بنموذجيه الاثنان إلى غاية إلحاق التعليم الأصلي بالتعليم العام.

المؤسسات التربوية : أو المؤسسات التعليمية، عرفتها لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية (وهي المؤسسات التي ينحصر دورها الرئيسي ومهمتها الرئيسة في توفير التعليم، والتي عادة ما تكون مرخّصة أو مراقبة من قبل بعض السلطات الحكومية. غالباً ما تدار هذه المؤسسات أو تكون تحت وصاية سلطات تربوية.) (unescwa.org ، 2003). ونقصد بها إجرائيا، المدارس التابعة للتعليم العام ومعاهد التعليم الأصلي الحكوميتان، اللتان عنيتا بمهام التربية والتعليم.

مصادر جمع المعلومات

تناولنا هذه الدراسة من مقاربة سوسيولوجية وتاريخية، ذات طابع نظري، اعتمدنا في إنجازها على مصدرين لجمع المعلومات، يمثل المصدر الأول الوثائق مصدرا للمعلومات، تعرّفنا من خلالها على مظاهر التجديد التي لحقت بالتعليم الأصلي، أما المصدر الثاني فهو الجداول الإحصائية، قدمت معلومات كمية مكّنت من قياس أثر تحسّن الطلب على التعليم الأصلي عقب الإصلاحات وعدد الناجحين في شهادة الأهلية للتعليم الأصلي.

1. تطور التعليم التقليدي إلى تعليم أصلي:

1.1 المرحلة الأولى: مدارس التربية والتعليم لجمعية العلماء

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، (أغلق الاستعمار المدارس، واستولى على أوقافها، ومنع التعليم العربي، وعاقب بالسجن والتشريد من يمارسه أو يطالب به)(درّار، 1972، ص 230)، أدّت مصادرة الأوقاف الإسلامية إلى خراب البنية الاقتصادية والاجتماعية التي موّلت أعمال المؤسسات الدينية والتعليمية، إذ أصدر الجنرال ***Clauzel*** قرارا في 07 ديسمبر 1830 يقضي بالاستيلاء على أوقاف المسلمين لفائدة المعمّرين الراغبين بالاستيطان في الجزائر، قدّرت الأوقاف قبل الاحتلال بمليونين من الهكتارات من أجود الأراضي و2000 ألفين عمارة (بلعلّام،، 1972ص 43/40).

مع مطلع القرن العشرين، برزت مجموعة من علماء الدين، تمسكت بتراث الجزائر وثقافتها فأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي افتتحت مدارس التربية والتعليم وعنيت بتعليم اللغة والدين. يمكن القول أن التعليم الأصلي هو تحديث للتعليم التقليدي، الذي شهد أولى إصلاحاته على أيد جمعية العلماء، يقوم على: تعليم اللغة العربية، تدريس علوم الديانة الإسلامية والتعبير عن الواجهة الثقافية للمجتمع.

لجأت جمعية العلماء لتحديث التعليم إلى افتتاح المدارس وفق نموذج النظام التربوي الحديث، لتحاكي قدر المستطاع المدرسة الفرنسية العمومية التي تدرس أبناء المعمّرين، فدعت لفتح مدارس التعليم العربي الابتدائي، الخط الذي تبتدئ منه النّهضات العلمية (الإبراهيمي، 2007، ص 279)، جعلته مفتاحا للعلم وشجعت منتسبيها على تكوين جمعيات محلية في المدن الجزائرية، تتولى فتح مدارس حرّة، ويبقى على عاتق جمعية العلماء تلبية مستلزمات المدرسة، اختيار المعلمين، البرامج التعليمية، تأمين الكتب اللازمة للتلاميذ، التفتيش التربوي والمراقبة الدورية (الإبراهيمي، 2007، ص 189).

تعرّضت مدارس التربية والتعليم لمضايقات الإدارة الفرنسية، عندما صدر مرسومي Michel سنة 1933، ***Régnier*** سنة 1935 ثم قرار ***Chautemps*** سنة 1938(الإبراهيمي، 2007، ص 193/192)، بقي أثر المرسومان والقرار إلى غاية الحرب العالمية الثانية، لأنها نصت على إغلاق المدارس العربية الحرّة الغير مرخص لها وكذلك المعلمين، فأغلقت مدرسة دار الحديث بوهران، مدرستي بني منصور وسيدي عيسى من عمالة الجزائر ومدرستي قابس وعزّابة من عمالة قسنطينة(الإبراهيمي، 2007، ص 193).

2.1 المرحلة الثانية: ظهور التعليم الأصلي إثر إصلاحات وزارة الأوقاف

بعد الاستقلال، وعلى غرار الدول المسلمة الأخرى، شكلت الدولة الوطنية وزارة للشؤون الدينية، مستمدة مرجعيتها من الوسطية الفقهية في التراث الديني والمعرفي للجزائر، وهو مذهب الإمام مالك وعلمائه في بلاد المغرب (عيلان، 2022، ص-)، تجسّد في المعاهد الإسلامية التي افتتحتها الوزارة لتعنى بالتكوين الديني (قترار، 2005، ص 11) وتدريس اللغة العربية، لكن الأمر لا يقتصر حقيقة على تدريس الدين واللغة العربية بالعودة إلى الظرف التاريخي آنذاك في الجزائر، بل كان التمسك بالتعليم الأصلي حصنا أمام ما كانت تطمح إليه فرنسا بعد خروجها من البلد مستغلة قضية التعاون بموجب اتفاقيات إيفيان، ففي 11 أوت 1962 صدر عن الوزير الفرنسي المكلف بالشؤون الجزائرية أمرية رقم 952/62، نصت على إنشاء ما يسمى *بالديوان الجامعي الثقافي الفرنسي للجزائر* ليشرف على المؤسسات التعليمية التي تستقبل أبناء الفرنسيين الذين لم يغادروا الجزائر بعد، كما فتح أبوابه لاستقبال أبناء الجزائريين، مستغلة في ذلك إمكانياتها البشرية، المالية والمادية وكذا العقارات التي حافظت عليها بعد الاستقلال، كل هذا في مجال التربية والتعليم أمام بلد بالكاد يلتقط أنفاسه بعد سنوات عجاف من التجهيل وتفشي الأمية وعوز في الإمكانيات لبناء قطاع تربوي وتعليمي. نذكر مما ورد في مواد الأمرية 952/62 التي تشير إلى التركيز على التعليم والثقافة كوسيلتين لضمان البقاء:

جاء في **المادة الأولى** أن الديوان يشرف على إدارة المؤسسات التعليمية، الجامعات ومختلف المؤسسات الثقافية وكل الملاحق التي احتفظت بها فرسا في الجزائر أو ستنشئها وفق ما تقتضيه المادة 2 من إعلان المبادئ الصادر في 19 مارس 1962، أما المادة 02 ممّا ورد فيها أن الديوان يمنح شهادات مطابقة لتلك الممنوحة في فرنسا وفي المادة 03 يتبين أهمية هذه المؤسسة، فمن الوزارات المكلفة بتطبيق الأمرية: وزارة التربية الوطنية، الوزارة المكلفة بالشؤون الجزائرية ووزارة الشؤون الثقافية (Ordonnance, 1962, N 62/952).

إن إقدام الحكومة الفرنسية على تأسيس الديوان وما منحته إياه من استقلالية وصلاحيات تمتع بها وفق المادتين الأولى والثانية من الأمرية 952/62 وإلحاقه بمصالح الحكومة لإدارة التعليم الفرنسي في الجزائر وما تضمنت نصوصها من فحوى يجعلنا نسجل

مجموعة من التوقعات التي كانت ترغب فيها فرنسا، فمن جهة وفرت الحكومة الفرنسية التعليم لأبناء الفرنسيين الذين لم يغادروا الجزائر تحفيزا لهم على البقاء بهدف المحافظة على التوازن العرقي مما يسمح لفرنسا بالتدخل المباشر في الشؤون الجزائرية (مغربلي، 2016، ص 92) كما سمحت لأبناء الجزائريين للالتحاق به مما يسمح بتكوين جيل من المتعلمين الجزائريين المفرنسين، وهكذا تضمن فرنسا بقاء اللغة الفرنسية وامتدادها في الجزائر وما سينجر عن ذلك من تغيرات اجتماعية وثقافية. لذا فمعاهد التعليم الأصلي الوطنية كانت مواجهة للمكتسبات اللغوية والثقافية التي عزمت فرنسا على أن تحافظ عليها، ودليل ذلك العودة إلى الأمرية السالفة الذكر التي نصت على افتتاح مؤسسات في مختلف الأطوار التعليمية وإمكانية افتتاح مؤسسات تعليمية أخرى للتعليم الفرنسي في الجزائر.

تأثّر التكوين في معاهد التعليم الأصلي ببرامج الأزهر، درّس فيها أساتذة من الأزهر وجزائريون خريجو جامع الزيتونة وجامع القرويين(عيلان، 2022، ص-). من الواضح حضور إرث جمعية العلماء في اتباع مذهب الإمام مالك بن أنس واستثمار إرثها التربوي، ويمكن القول أن وزارة الأوقاف قامت في سنواتها الأولى على أكتاف أعضاء *جمعية العلماء*، فأول مؤسسة بعد الاستقلال كانت بمبادرة الشيخ عمر دردور سنة 1963 بافتتاح المعهد التكميلي بباتنة.

مع تولي العلّامة مولود قاسم نايت بلقاسم مهام وزارة الشؤون الدينية، وجد أمامه تجربة جمعية العلماء التربوية لا تزال مستمرة بفضل جهود القائمين على الوزارة، فجعل العلّامة منها اللبنة لتأسيس التعليم الأصلي. وإن كان هذا النوع التعليمي لا يختلف ضمنيا عن تجارب بلدان مسلمة أخرى من الشرق ومن الغرب، فاستنسخت هذه التجارب وخرجت منها طبعة وطنية، أبرزها طابع المؤسسة من مؤسسات تكميلية وجامعية على شاكلة جامعة الأزهر في مصر، الجامعتين الكاثوليكيتين الفرنسيتين في باريس وستراسبورغ والجامعتين الكاثوليكيتين لوفان وبروكسل في بلجيكا، حيث تجمع هذه الجامعات بين التعليمين الديني والدنيوي أو الوضعي. من خلال هذا النسق، استلهم العلّامة فكرة التعليم الأصلي ومؤسساته من التعليم التكميلي إلى غاية الجامعة، واختار أن يسميه التعليم الأصلي، إشارة إلى التعليم الذي ساد فترة ازدهار الحضارة العربية والإسلامية (رشيق، 2022، ص 604).

إطلعت مديرية التربية الدينية على مستوى وزارة الأوقاف، بكل مامن شأنه أن يجدّد في بنى التعليم التي عنيت بالتعليم القرآني والتحضير لافتتاح نوعين تعليميين هما: التعليم الديني العالي والتعليم الديني الثانوي. تذكّرنا بجهود جمعية العلماء قبلا، وحذا حذوهم القائمون لاحقا بمسؤوليات الوزارة (Bormans, -, p. 469). مزامنة مع إعادة تنظيم التعليم القرآني، سخّرت وزارة الأوقاف أيضا جهودها لتطوير نوع تعليمي آخر هو التعليم الأصلي، لذا دارت فلسفة الإصلاحات التي شملت التعليم الديني التقليدي منذ الاستقلال حول التوفيق من جهة بين خيارات اجتماعية وسياسية وطنية، ومن جهة ثانية قيم الشريعة الإسلامية، وهو ما اصطلحت عليه الأدبيات السياسية والثقافية بالأصالة والمعاصرة. وفي هذا الإطار دعمت الدولة الوطنية التعليم الأصلي حفاظا على الثقافة الجزائرية(شبوب، 1972، ص 3). لكن هذه النظرة الإصلاحية واجهها تحدي مخلفات الاستعمار الثقافية.

إنطلق التعليم الأصلي سنة 1964، بصدور المرسوم الرئاسي 64-10 المؤرخ في 11 يناير 1964، حيث نص في مادته الأولى على تقسيم التعليم إلى نوع ثان، هو التعليم الديني الإسلامي، خصّت به وزارة الأوقاف. افتتحت في البداية أربعة مؤسسات في: الجزائر العاصمة، بني دوالا في تيزي وزّو، قسنطينة وباتنة، هذا نصها: 'إن التعليم يقسّم إلى نوع ثان هو التعليم الديني الاسلامي الذي هو من اختصاص وزارة الشؤون الدينية ويتضمن التعليم القرآني، التّعليم الإكمالي، الثانوي والتعليم العالي الاسلامي'(شبوب،

1972، ص 3)، بداية أنشأت وزارة الأوقاف التعليم الثانوي الذي ركّز على تدريس المواد الدينية، ثم تطور التعليم الأصلي أكثر في جانبه التنظيمي ليواكب النظرة الجديدة للتعليم الديني حيث ضم طورا جديدا هو التعليم العالي والنظرة الجديدة إلى العلوم الدينية التي أخذت مكانها في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ركّز القائمون على التعليم الأصلي على العناصر الثلاث المتمثلة في: الشباب، اللغة العربية، محاربة التطرف والمذهبية، (الأهداف التي تسعى لتحقيقها معاهد التعليم الأصلي:

*تكوين جيل ... فيهم التكوين العلمي بأوسع وأحدث معانيه مع التربية الإسلامية المتينة.

* تركيز اللغة العربية حسب الطرق العلمية ... لدعمها وفق مقتضيات العصر.

* إنقاذ أبنائنا الذين حرموا من التعليم العام أو ممن فاتهم السن القانوني للدخول إلى المدارس أو كانوا دون السن المطلوب للدخول في المدارس المهنية.

*تكوين إطارات دينية ...، قادرة على تحمل رسالتها ...) (الشريف، 1971، ص 68).

إلا أن التعليم في المعاهد بقي محدودا لعدم وجود شهادة للأهلية (قترار، 2005، ص 196) إلى غاية إصلاحات سنة 1971، التي عرفها قطاع التربية والتعليم، حيث تقاسمت مهامه وزارة أوكل لها مهام الوصاية على التعليم الأساسي، المتوسط والثانوي، استحدث لها وزارة التعليم الابتدائي، المتوسط والثانوي ووزارة ثانية وصية على التعليم العالي هي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

أما التعليم الأصلي فاستحدث بموجب المرسوم رقم 71-128 شهادة البكالوريا للتعليم الأصلي، مكّنت طلبة المعهد من اجتياز الامتحان والالتحاق بالجامعة حال حصولهم على الشهادة. بالرجوع إلى القرار الصادر في 13 ماي 1971 عن وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية، حدّدت آليات تطبيق المرسوم رقم 71-128، من أهم ما ورد فيه:

اجتياز الامتحان في دورة عادية واحدة نهاية السنة الدراسية وفق المادة الأولى، تحرّر مواضيع امتحانات شهادة بكالوريا التعليم الأصلي باللغة العربية، باستثناء امتحان اللغات الأجنبية وفق المادة الثانية.

يمكن للفئات التالية المشاركة في امتحانات شهادة بكالوريا التعليم الأصلي وهم: تلاميذ الأقسام النهائية من الطور الثانوي للمعاهد الإسلامية ومؤسسات التعليم الثانوي العامة، تلاميذ الأقسام النهائية لمؤسسات التعليم الثانوي الخاصة، كما فتحت فرصة المشاركة للراغبين في الترشح لاجتياز الامتحانات ولهم مستوى يؤهلهم لذلك، شرط أن يثبتوا مستواهم أمام اللجنة المركزية للامتحان وفق ما ورد في المادة الخامسة.

يمكن القول أن هذا التاريخ كان شاهدا على المرحلة الثانية من التحديث، يجمع بين الأصالة والتفتح من حيث الأهداف والبرامج، وهكذا جمع التعليم الأصلي بين العلوم الدينية والوضعية. وسواء سياسة جمعية العلماء قبل أو بعد الاستقلال أو سياسة الوزارة الوصيّة بعد الاستقلال فالهدف كان واحدا هو استرجاع الجزائر لعمقها الفكري والحضاري. نلاحظ أن فترة الوزير مولود قاسم، شهد فيها التوجه العام للسياسة الثقافية لوزارة الشؤون الدينية تأكيدا على الحضور الفكري للإمام عبد الحميد ابن باديس ومسايرة لتوجه السياسة الوطنية للبلاد نحو التركيز على التنمية (فترة السبعينات)، لذا فالإصلاحات هي من مظاهر السياسة التنموية في المجال الثقافي، منها المجال التربوي، لذا عرفت المعاهد فترة الوزير مولود قاسم تحديثا في المجالات التربوية، الدينية، الثقافية والإدارية.

اعتبرت الباحثة الفرنسية *Yvonne Turin* التعليم الأصلي هو استمرار لجهود جمعية العلماء والإمام ابن باديس (Turin, 1973, p. 98) (... هل خطأ القول أن ما كان يعتبر هو الأفضل لشباب وطلبة جامعات الشرق الأوسط، هو نفسه لدى القائمين على التعليم الأصلي ويتقاسمون مسؤولياته؟...)، وإن وجدت التعليم الأصلي خدم أكثر التعريب والبعد الروحي للفرد(Turin, 1973, p. 102)، طمح العلّامة مولود قاسم إلى تحويل التعليم الأصلي إلى تعليم ذو طابع عمومي يطبق في كل ربوع البلاد، أي إلغاء التعليم العام واستبداله بنظيره التعليم الأصلي، أي أن فكرة توحيد التعليم كانت مطروحة في بال العلّامة مستقبلا مع توفر الإطارات، وعبّر عن فكرنه هاته في فيفري سنة 1976 حيث يقصد بالوحدة ما ذكرناه سابقا، تعليم محمل بمكونات الثقافة والهوية الوطنية، عبّر عنها العلّامة بالحصانة المعنوية والتكوين الفني، العلمي والمادي الضروري الذي يتطلبه العصر لدى الطلبة (رشيق، 2022، ص 608).

2. إلحاق التعليم الأصلي بقطاع التربية الوطنية:

بدأ التعليم الأصلي سنة 1964 بأربعة مؤسسات في: الجزائر العاصمة، بني دوالا بتيزي وزو، قسنطينة وباتنة، صدر مرسوم في 11 يناير 1964 ينظم ويوضح المغزى منه، هدفه تقوية مكانة اللغة العربية ونشرها بالتعليم، إدماج الشباب الذين تجاوز سنهم التعليم العام في إطار سياسة محو الأمية، وتكوين الإطارات الدينية. أولى التعليم الأصلي وأعطى مكانة هامة لتعليم علوم الدين الإسلامي إلى جنب العلوم العلمية واللغات. أطلق على الوزارة المعنية بالأوقاف بموجب المرسوم رقم 65-207 الصادر عام 1965، المتضمن تنظيم الإدارة المركزية لوزارة الأوقاف، ومع إدراج التعليم الديني ضمن مهامها الجديدة، أطلق عليها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية عام 1971، بموجب أحكام المرسوم رقم 71-299 المؤرخ في 31 ديسمبر سنة 1971، وقد يكون فتح مؤسسات رسمية حديثة للتعليم الديني من دوافع استحداث التعليم الاصلي. يعتبر العلّامة مولود قاسم من الأوائل الذين أولو اهتمامهم بالتعليم الديني لدى توليه مهام الوزارة.

توافقت هذه الرؤية مع توجّه وزير التربية الوطنية أحمد طالب الإبراهيمي في التأكيد على الخصوصية الحضارية والثقافية للجزائر. ناهيك عن البعد التربوي والوطني للتعليم الأصلي، فهو تحديث لمناهج التعليم التقليدي، وإن كانت قبلا جمعية العلماء المسلمين سبّاقة في تحقيق خطوة الإصلاح منذ ثلاثينيات القرن العشرين ومواصلة هذا التحديث والتطوير في فترة ثانية مع أعضاء من جمعية العلماء تحت إشراف وزارة الشؤون الدينية مع أول وزير تقلّد هذه المهمة وهو المؤرخ أحمد توفيق المدني فترة توليه شؤون الوزارة سنة 1962إلى غاية 1964. خلال سنة 1970، فترة الوزير العلّامة مولود قاسم نايت بلقاسم، شهد التعليم التقليدي إصلاحات من ناحية: البرامج، الهياكل والتسمية، فغدى اسمه بالتعليم الأصلي، كما استحدثت المرحلة الثانوية من السنة نفسها، وصار التعليم الأصلي جزء من النظام التربوي خلال الفترة (1965-1976).

تغيّرت تسمية الوزارة إلى: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف سنة 1980 إثر إلغاء التعليم الأصلي(الجريدة الرسمية، 1977، رقم 77-139)، المتضمن إلحاق نظام التعليم الأصلي وصلاحياته بوزارة التربية، سبق هذا الإلغاء صدور أمر رقم 76-35 مؤرخ في 16 أفريل سنة 1976 يتعلق بتنظيم التربية والتكوين، الذي أشارت المادة الأولى منه أن أحكام هذا الأمر ستكون مكوّن للتشريع في ميدان التربية والتكوين، إضافة إلى تشريعات ونصوص قانونية أخرى حددتها المادة نفسها، ومن الفصل الأول من الأمر المتضمن المبادئ العامة نشير إلى الملاحظات الأساسية التالية: تمثل القيم العربية الإسلامية والمبادئ الاشتراكية نطاقا لرسالة النظام التربوي

وفق المادة 2، التربية والتكوين يكفلها نوع تعليمي واحد هو التعليم الأساسي وفق المادة 4، ونفهم من المادة 7 أن التعليم الأساسي يكون على مستوى المؤسسات المدرسية، مما يشير إلى أن هذا التعليم لا توفره مؤسسات أخرى، التعليم باللغة العربية كما صرّحت به المادة 8، النظام التربوي هو من اختصاص الدولة ولا بسمح بأية مبادرة فردية أو جماعية خارج أحكام هذا الأمر وفق المادة 10 حيث تم لا حقا إلغاء التعليم الذي كانت توفره المؤسسات الثقافية الأجنبية المتواجدة بالجزائر، إضافة إلى المادة 11 التي تعتبر النظام التربوي هو جزء من المخطط الشامل للتنمية (الجريدة الرسمية، 1976، رقم 76-35).

إلغاء التعليم الأصلي يعني إلغاء شهادة بكالوريا التعليم الأصلي، إدماج تلاميذه وطلابه في المؤسسات التربوية، وإدماج المواد الدينية المدرّسة في إحدى الشعب، إذ صار النظام التربوي وفق المادة 17 من الأمر نفسه يتفرع إلى مستويات التعليم التالية: التعليم التحضيري، التعليم الأساسي، التعليم الثانوي، التعليم العالي(الجريدة الرسمية، 1976، رقم 76-35).

في حين أشارت المادة 25 في الباب الثاني من الأمر، الخاص بالتعليم الأساسي إلى ما يتعلق بتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي:

(المادة 25: توفر المدرسة الأساسية للتلاميذ:

– دراسة اللغة العربية حيث يتقنون التعبير بها مشافهة وتحريرا. وتهدف هذه الدراسة التي تعتبر عاملا من عوامل شخصيتهم القومية إلى تزويدهم بأداة للعمل والتبادل وتمكينهم من تلقي المعارف واستيعاب مختلف المواد، كما تتيح لهم التجاوب مع محبطهم. ...

–أسس العلوم الاجتماعية ولا سيما المعلومات التاريخية، السياسية، الأخلاقية والدينية، ويهدف هذا التعليم إلى توعية التلاميذ بدور ومهمة الأمة الجزائرية والثورة ورسالتها وبالقوانين التي تحكم التطور الاجتماعي كما يهدف إلى إكسابهم السلوك والمواقف المطابقة للقيم الاسلامية والأخلاقية الاشتراكية. ...). قدّم وزير التربية مصطفى الأشرف مشروع بكالوريا العلوم الإسلامية إلى مجلس الحكومة، لكن المشروع دمج بين بكالوريا العلوم والمواد الدينية. لم تكن الفكرة ملائمة في امتحان طالب العلوم في مواد لا يمتلك فيها مكتسبات معرفية وبعيدة عن تكوينه العلمي الأساسي، في حين كان مقترح الأستاذ علي بن محمد لاحقا هو دمج المواد الدينية في شعبة الأدب لقربها من مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بل تدعمها بما سيدرسه في التاريخ عن حضارة العرب والمسلمين، في الأدب من أدب عربي وفصاحة لغة وفي الفلسفة ما سيدرسه من فكر إسلامي. وعليه اقترح على مجلسي الحكومة والوزراء بنقل المواد الدينية من بكالوريا العلوم ودمجها في بكالوريا الأدب، على أن تكون بكالوريا علوم الشريعة أو كما اصطلح عليها ببكالوريا العلوم الإسلامية هي بكالوريا الأدب ومواد الدين، لقيت الفكرة قبولا وتم تطبيقها إلى أن ألغيت.

يمكن القول أن التعليم الأصلي أدمج ضمن نوع تعليمي، فمعاهد التعليم الأصلي قامت في الأساس على استقطاب الشباب الذي فاق سنهم السن الرسمي للالتحاق بالتعليم العام، ونظن أن المدة من 1964 إلى غاية 1976 كانت كافية لتحقيق هذه الاستراتيجية، أما الهدف الثاني المتمثل في مهمة التكوين الديني فقد احتفظت بها وزارة الشؤون الدينية، بافتتاح مؤسسات لتخريج الأئمة. إذن، توحيد الأنواع التعليمية كلها في نظام تربوي واحد، فصل وميّز التعليم الديني عن التكوين الديني فيدمج التعليم الأصلي في التعليم العام تحت إشراف وزارة التربية الوطنية، مع التحول من تعليم الدين إلى التربية الدينية ورافقت ظهور المدرسة الأساسية (معلمة توحيد النظام التربوي)، أين استبدل التعليم الأصلي بمادة التربية الإسلامية. في حين احتفظت وزارة الأوقاف بالتكوين الديني. مع الإشارة أعلاه إلى توحيد كل الأنواع التعليمية ضمن نظام تربوي واحد، بما فيه التعليم الأصلي والتعليم الذي أشرفت عليه البعثات الثقافية الأجنبية، كالديوان الجامعي الثقافي الفرنسي.

3. أهميته في النظام التربوي:

1.3 الدور التربوي:

بقيت المعاهد الإسلامية المعروفة بمؤسسات التعليم التكميلي والثانوي مفتوحة إلى غاية 1970، تذكّرنا بمعهد ابن باديس الذي افتتح سنة 1947 بقسنطينة للتعليم التكميلي والثانوي، لتكون وجهة غالبيتهم إلى جامع الزيتونة.

مارس هذا التعليم أدوارا كبرى، منها تحول مؤسساته إلى مراكز للأدب، الإمامة والإرشاد، إلى فاعلة في الحياة الفكرية، الدينية والثقافية. يتبين لنا عند الاطلاع على برامج الأطوار التعليمية، حضور لمواد في العلوم الإنسانية والاجتماعية، تجعل التعليم الأصلي مواكبا للعصر، فالعلوم الإنسانية والاجتماعية هي معرفة إنسانية تتميز بالتعددية وتسمح بالانفتاح الفكري والعلمي على العالم. ولأن الفكر هو انعكاس للنمطية الثقافية للمجتمع، فإن تحديث التعليم التقليدي، كان من الأسس لإرساء الثقافة الوطنية بمقوماتها الحديثة، بتحديث هذا النوع من التعليم، (فإلى جانب تدريس المواد الإسلامية كالفقه والتوحيد، والتفسير، والسيرة، وأصول الدين، والفلسفة، نجد المواد العربية والعلوم الحديثة والرياضيات والفيزياء، والكيمياء، والتاريخ، والجغرافيا، وما يتبعها من تدريس اللغتين الأجنبيتين الفرنسية والإنجليزية تسير في خط واحد نحو ثقافة متكاملة)(شبوب، 1972، ص 3).

تجلى الدور التربوي والاجتماعي للتعليم الأصلي في احتواء من فاق سنهم 14 سنة ولم تكن لهم الفرصة في الالتحاق بالتعليم العام الفرنسي فترة الاستعمار، وكانوا ملمين ببعض من التعليم الأساسي في قواعد اللغة العربية والقرآن (تاحي، 2007، ص 89)، (أما تلاميذ هذه المعاهد فإنهم أبناء القرى والأرياف والمداشر والجبال ممن يحفظون القرآن كاملا أو أجزاء منه، أو ممن كان لبعضهم مبادئ في العلوم الدينية والأدبية واللغوية في المناطق المذكورة أو من الزوايا أو من غيرها، كالجامع الذي يعلّم فيه الطّلبة/معلمي القرآن، للصغار/ لقدادشة ...، أما من كان بالمدن فقد كان أمر التحاقه بها هينا، لأن بعض المقرات كانت تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) (عيلان، 2022، ص-).

من بين المؤشرات الأخرى التي تدلل على مواكبة التعليم الأصلي للتجارب التعليمية الحديثة، أن جعلت بكالوريا التعليم الأصلي ذات معادلة دولية كسائر الشهادات، التعليم الأصلي مكون داخل النموذج الثقافي، وبالتالي فالفئة المتعلمة التي تخرجت من معاهد التعليم الأصلي هي إذن إعادة إنتاج للعنصر البشري بمكوّناته الأصيلة، إضافة إلى أن هذه السياسة الوطنية عموما يمكن النظر إليها أنها استثمار في فئة عانت الإقصاء الاجتماعي. أما وظيفته الاجتماعية فتتمثل في الحفاظ على وحدة المجتمع الدينية والفكرية، وهي ما يميزه عن التعليم التقليدي، لا يختلفان عن بعضهما سوى أن التعليم الأصلي جمع بين التعليم التقليدي العام والمعروف في كل نظام تربوي وبين التكوين الديني، وقد أثبت تاريخ المغرب دور علماء الدين في التصدي لتشيعات مذهبية حاولت التوغل إلى بلاد المغرب، خاصة عبر بلاد الأندلس.

2.3 مظاهر التجديد التي لحقت بالتعليم الأصلي:

من مظاهر تطوير التعليم التقليدي، ممثلا في التعليم الأصلي:

أولا، كان المدرسون من حاملي الشهادات ذوي الاختصاص، الليسانس والإجازات العلمية العليا وما يعادلها(الشريف، 1971، ص 70)، يوضح الجدول التالي توزيع الأساتذة المعينين حسب تخصصاتهم العلمية:

جدول رقم (01): توزيع الأساتذة على حسب التخصص

ع. أساتذة العلوم الشرعية والعربية	ع. أساتذة الرياضيات والعلوم	ع. أساتذة العلوم الاجتماعية	ع. أساتذة التربية البدنية	ع. أساتذة اللغة الأجنبية
315	73	52	20	21

المصدر: الشريف، 1971، صفحة 71.

ثانيا: قام التعليم الديني على تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية، وتعدى إلى مشروعات تربوية أخرى، منها محو الأمية، تعليم الكبار، تعليم المرأة والتكوين المهني، طبّق هذا المبدأ التربوي لدى الدول التي شهدت حروبا ولم تتمكن من إنشاء مدارس نظامية.

ثالثا: اتخذ التعليم الأصلي المنحى نفسه للتعليم العام من تقسيم إلى أطوار تعليمية تبدأ من الطور التكميلي وتنتهي عند الطور الجامعي. كما أن إصلاح البرامج سنة 1970، جعل الإقبال على التعليم الأصلي يرتفع خاصة الفترة 1972-1975.

رابعا: يتمثل في البرامج، وقد أشرنا أن العلّامة مولود قاسم نايت بلقاسم اعتبر التعليم وسيلة لبناء الأمة، مركّزا على تدريس اللغة العربية، الدين الإسلامي، تاريخ الجزائر وتاريخ الحضارة العربية والإسلامية. فكانت مؤسسات التعليم الأصلي تدرّس جميع المواد المقررة في مثيلاتها من التعليم العام، فضلا عن ذلك، تميزت بتدريس العلوم الإسلامية، التعمق في مواد اللغة العربية والعناية بالتاريخ الإسلامي وتاريخ الجزائر.

اشتمل نظام التعليم الأصلي على البرنامج الدراسي نفسه المعتمد لدى وزارة التعليم الابتدائي والثانوي بمرحلتيه التكميليتين، المتوسطة والثانوية، من العلوم الشرعية، اللغوية والعصرية، مما يشير إلى مسايرة تجربة التعليم الأصلي لجامعات الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي. أما الطور الثاني فتمثل في التعليم الثانوي، تتجلى فيه مظاهر التجديد ومواكبة التعليم الأصلي للنظام التربوي الحديث، إذ ضمت المناهج ثلاثة شعب هي: الشعبة الشرعية العربية، شعبة العلوم، شعبة الرياضيات وفق جدول توزيع حصص سنة سابعة نهائية للعام الدراسي 1975/1974.

تواصلت عملية التعديل والعصرنة، ففي سنة 1974 وبأمر من وزارة التعليم الأصلي والأوقاف، عدل القراران الخاصان بشهادة الأهلية وشهادة بكالوريا التعليم الأصلي. تحولت المواد التالية – *لنيل شهادة الأهلية*- إلى مواد أساسية: *القرآن والتفسير، الفقه والفرائض، دراسة النص والرياضيات*(قترار، 2005، ص 206).

أما شهادة بكالوريا التعليم الأصلي، فحددت فيها شعب ثلاثة هي(الشريف، 1971، ص 70):

الشرعية الأدبية وموادها الرئيسية هي: القرآن والتفسير، الفقه، الأدب العربي، الفلسفة.

الرياضيات وموادها الرئيسية هي: الرياضيات، الفيزياء والكيمياء.

العلمية وموادها الرئيسية هي: العلوم الطبيعية، الفيزياء والكيمياء.

خدم هذا التعديل تلاميذ وطلاّب التعليم الأصلي الذين صار بإمكانهم الإدماج في التعليم العام. بعد استكمال طوري التعليم التكميلي والثانوي، باشرت الوزارة إعداد مشروع ثلاثة كليات موزعة على القطاعات الثلاثة الكبرى: الجزائر، قسنطينة، وهران، على أن تختص إحدى الكليات بتدريس الشريعة الإسلامية والقانون المقارن، الثانية أصول الدين والفلسفة المقارنة أما الثالثة فاللغة العربية

وآدابها وبعض اللغات القديمة المرتبطة بها. سعت الوزارة الوصية إلى إنجاز المشروع الأول، أي كلية الشريعة والقانون المقارن، للحاجة إلى تخصصاتها في مجالات التعليم، التأطير والقضاء(الشريف، 1971، ص 72). لم يتوج المشروع بالإنجاز بعد أن ألحق التعليم الأصلي بالتعليم العام؛ لكن الوزارة المعنية أسّست مدرسة وطنية لتكوين الإطارات الدينية ببلدية مفتاح في ضواحي العاصمة. استقبلت المدرسة خريجو ثانويات التعليم الأصلي وبعض المعاهد التقليدية التي كانت لا تزال تزاول نشاطها التعليمي (بلعلّام، 1972، ص 251)، (والهدف من هذه المدرسة ... هو تخريج إطارات دينية عصرية تكون على علم بما يجري في العالم من حولها، وتلم بأشتات الثقافات المتعددة والمتباينة في المنهج والتفكير والهدف، حتى تتمكن من مجابهة مشاكل العصر اليومية، و...تؤدي رسالتها...، خاصة في أوساط الشباب المثقف الذي تتجاذبه التيارات الفكرية والإيديولوجية، والسياسية...) (الشريف، 1971، ص 72).

نلاحظ أن التعليم الأصلي أخذ مسارا بيداغوجيا أكثر مع الإصلاحات التي شملته، الاهتمام بالتأطير وتوظيف الأساتذة المتخصصين، مغيرا وجهته من تعليم كان موجّه في الأساس لتلبية طلب اجتماعي جماهيري إلى تعليم مؤهل أكثر، يعني التجديد في مفهوم التعليم الأصلي.

4. مؤسسات التعليم الأصلي:

أشارت المادة 3 من المرسوم الصادر في 11 يناير 1964 المتعلق بتنظيم التعليم الديني المعاهد الإسلامية توفر التعليم الإكمالي للتلاميذ الذين تجاوزوا سن الرابعة عشرة، وحصلوا على تعليم قرآني أساسي، وفق شروط يحددها قرار من وزارة الأوقاف. أطلق عليها المؤسسات الإكمالية للتعليم الأصلي. يوضح الجدول رقم 2 تعداد معاهد التعليم الأصلي ما بين الموسمين الدراسيين 65/64 و70/69:

جدول رقم (02): تطور عدد المعاهد 1964 – 1970.

الموسم الدراسي	65-64	65-66	66-67	67-68	68-69	69-70
عدد المعاهد	04	07	12	12	14	15

المصدر: تاحي، 2007، صفحة 90.

انصب الاهتمام بداية على تحسين أوضاع مؤسسات التعليم الأصلي. كانت مؤسسات التعليم الإكمالي تحضر تلاميذها على مدار أربعة سنوات لنيل شهادة الأهلية، ثم الالتحاق بمؤسسات الطور الثانوي (وهي المؤسسة الثانوية في مفهوم التعليم العام) لتحضر الطلبة على مدار ثلاثة سنوات لنيل شهادة البكالوريا في التعليم الأصلي، تخرجت أول دفعة سنة 1971.

مارست الإكماليات مهام أخرى وهي تكوين إطارات دينية، مما سيستدعي طورا جديدا هو التعليم العالي الأصلي. عبّرت عن المشروع المادة الرابعة من المرسوم الصادر في 11 يناير 1964، تتويجا للمسار الدراسي لتلاميذ التعليم الأصلي الناجحين في الالتحاق بالتعليم العالي الأصلي، الذي ستوفره كلية العلوم الإسلامية للطلبة الناجحين، أو اجتازوا بنجاح امتحان الدخول إلى كلية العلوم الإسلامية، حيث حدّدت وزارة الأوقاف قرارا منظما لتدابير وسير اختبارات الدخول.

مؤسسات التعليم الأصلي استقبلت النظاميين من التلاميذ والطلبة، وفتحت أبوابها مساء لفوج أحر منهم، اصطلح على هذا المشروع بالجامعة الشعبية، وإن كانت جمعية العلماء سبّاقة منذ عهد الاستعمار في تطبيقها، عندما كانت تستقبل في مدارس التربية والتعليم طلبتها النظاميين نهارا، وغيرهم مساءا، كما أنها تجد من جهة ثانية مرجعيتها كفكرة تربوية إلى تحارب البلدان الأوروبية، وأخذ بها العلّامة مولود قاسم وجعلها جزءا من منظومة التعليم الأصلي. مما سهل استيعاب الفئة الثانية هاته هو فتح مؤسسات التعليم الأصلي لأقسامها مساءا كي يدرس فيها تلاميذ وطلاب المساء (رشيق، 2022، ص 609). فتحت الجامعة الشعبية أبوابها مساءا لجميع المستويات الدراسية دون مراعاة منها لمستوى الفرد أو سنه حتى تعم التربية للجميع ورغبة في استدراك هؤلاء لمعلومات ومعارف قد تكون ضرورية لهم، إضافة إلى أن الجامعة الشعبية ارتبطت بالظروف التي كانت تعيشها الجزائر، لم يقتصر الأمر على التخفيف من حالة الامية والجهل الذي مارسته السلطات الفرنسية في الجزائر فترة الاستعمار، بل كان غرضه أيضا هو التكوين العلمي ضمن أطر وطنية دعما لاستقلال الأمة ووحدتها الاجتماعية والثقافية. يتبين من خلال هذه البادرة مدى انفتاح التعليم الأصلي على تجارب التربية والتعليم الحديثة ومحاكاتها، فالوثائق التربوية تبقى في جوهرها واحدة وإن اختلف السياق الاجتماعي من بلد لآخر، فالعلّامة مولود قاسم عاين هذه التجربة في بلدان غربية وعن كثب، فترة تواجده ممثلا للثورة الجزائرية في أوروبا أواخر الخمسينات وبداية الستينات، حاضر في جامعاتها الشعبية ومعاهدها التربوية العليا في السويد وفنلندا. أشار العلّامة إلى أن وظيفة هذا المؤسسة تختلف من بل إلى آخر مطلعا على هذه التجربة بنفسه في بلدان ثلاث هي، ألمانيا، السويد وفنلندا. تطورت النظرة أكثر لدور المعاهد، إلى التكوين الديني، وقاعدة مستقبلية لتحقيق مشروع جامعة إسلامية، الحلقة الأخيرة التي كانت ستتوج التعليم الأصلي وعنصرا مكملا لثلاثية اللغة، الدين وتاريخ الأمة وانتماؤها إلى فضاء الحضارة العربية والإسلامية. أول مهمة أوكلت للجامعة الاسلامية ستكون الجامعة المعرّبة الأولى تعريبا كليا، والثانية أن التكوين في الكليات العلمية يرافقه افتاح على دور الحضارة الاسلامية كل في مجال تخصصه، بإنشاء كرسي الحضارة الاسلامية على مستوى كل كلية (رشيق، 2022، ص 605).

5. التحولات السوسيولوجية والتعليم الأصلي :

من مظاهر التحولات التي ساهم فيها التعليم الأصلي، التأثير في الأصل الاجتماعي للأفراد، فمؤسسات التعليم الأصلي فتحت أبوابها لمن حرموا التعليم فترة الاستعمار، غالبيتهم ينحدرون من أصول ريفية (قترار، 2005، ص 102) وذو مكانة أقل في السلم الاجتماعي، فالمستوى التعليمي محدد هام للمكانة الاجتماعية، فكان التعليم الأصلي فرصة لتحسين مستواهم التعليمي وارتقائهم في السلم الاجتماعي، إضافة إلى دور هذه المؤسسات في التخفيف من حدّة الأمية التي خلّفها الاستعمار في أوساط الشعب. توصلت دراسة (قترار، 2005) إلى النتيجة نفسها من دراستها الميدانية أن المستوى التعليمي يؤثر على الحياة المهنية، تبين من خلالها أن خريجي معاهد التعليم الأصلي جعلوا من التعليم والشهادة وسيلة نحو الارتقاء الاجتماعي، أما في دراسة (تاحي، 2005) فيوضح الجدول رقم 3 تعداد المنتسبين بمعاهد التعليم الأصلي من التلاميذ والطلّاب:

الجدول رقم (03): عدد تلاميذ مؤسسات التعليم الأصلي 1963 – 1969.

السنوات	1963	1964	1965	1966	1967	1968	1969
عدد التلاميذ	08	196	292	7	72	93	52

المصدر: تاحي، 2007، صفحة 40

إذن فقطاع التعليم الأصلي دعم قطاع التربية، ونتبنى الفكرة التي مفادها: أن كل نوع من بين الأنواع التعليمية المتواجدة بعد الاستقلال أدى وظيفة ضمن النظام التربوي، بتلبية الطلب الاجتماعي على التعليم. يوضح الجدول رقم 4 تزايد عدد المنتسبين إلى معاهد التعليم الأصلي سنوات السبعينات، لنؤكد ما سبق طرحه في استجابة التعليم الأصلي للطلب الاجتماعي على التعليم.

الجدول رقم (04): تطور الإقبال على التعليم الأصلي عقب الإصلاحات.

السنوات	1970	1971	1972	1973	1974
عدد التلاميذ	682	2655	15345	3807	30000

المصدر: تاحي، 2007، صفحة 93

المعلم الثاني من التحولات السوسيولوجية، أن التعليم الأصلي مثّل واجهة ثقافية حافظت على خصوصية المجتمع، وانبعثت هذه الواجهة من جديد بعد الاستقلال في بعد وطني يعبر عن المعالم الثقافية والتاريخية. عرف التعليم الأصلي الذي اعتبر تعليما تقليديا منذ الفتوحات الاسلامية وبقي موجودا فترة الاستعمار، ممثلا في الزوايا ومدارس التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء. بعد الاستقلال عمل القائمون بوزارة الشؤون الدينية على تحديث مناهجه وطرق تدريسه حتى ينفتح على الأنظمة التربوية الحديثة ومؤسساتها، بما شملته السياسة الوطنية من إصلاحات، فمنذ أن كان مقتصرا على التخفيف من ظاهرة الأمية لدى الشباب، إلى المساهمة في تكوين إطارات دينية وطنية.

أما المعلم الثالث من التحولات، هو تقليص فارق اللا مساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية، يوضح الجدول رقم 5 عدد الناجحين في امتحان شهادة التعليم الأصلي:

جدول رقم (05): عدد الناجحين والناجحات في شهادة الأهلية للتعليم الأصلي

السنوات	عدد الناجحين	عدد المعاهد المشاركة
65-64	0092	04
66-65	0257	07
67-66	0390	12
68-67	0628	12
69-68	0788	14
70-69	0813	15
71-70	1080	17

المصدر: الشريف، 1971،صفحة 71

6. عرض النتائج ومناقشتها

هدفت هذه الدراسة إلى التعرّف على مظاهر التجديد التي لحقت بالتعليم الأصلي كنوع تعليمي تقليدي في الجزائر، حتى يستجيب لتطلعات التربية والتعليم بالجزائر في نموذجها الحديث.

أشارت نتائج الفرضية الأولى إلى تحققها، إذ عبرت عن أهمية المناهج التربوية في تدريس الدين بطريقة تحقق فهمه الصحيح وتجنب حدوث التطرف المادي والمعنوي، يتبين صحة هذا الطرح، مما ذكر في العرض حول عملية الإصلاحات التي باشرتها *وزارة الشؤون الدينية* للنهوض بالتعليم الأصلي، ومسّت طرق التدريس ومناهج التعليم التربوية، التي صارت تركز مناهج التفكير العقلي عوض الحفظ والنقل، وانفتحت المناهج الجديدة على مجالات المعرفة الانسانية في التاريخ والفلسفة وعلم النفس والجغرافيا والرياضيات وغيرها من العلوم الأخرى التي تعمل العقل وتفتح باب المعرفة الإنسانية على علوم الدين. أما النشاطات المدرسية فمظهرا من مظاهر الانفتاح على المناهج التربوية الحديثة في التدريس، قد أشرنا إلى مجموعة منها، تساهم في صقل الإنسان القويم والعناية بالطلّاب الموهوبين من إبداع وتحفيزهم على النشاطات الثقافية، إضافة إلى نشاطات أخرى، منها الرياضة.

وفيما يتعلق بنتائج الفرضية الثانية، التي تطرقت إلى البعد الوطني للتعليم الأصلي، ويعزز الانتماء إلى الهوية الواحدة.، فقد بينت بدورها صحة الفرضية، حيث أشرنا أن التعليم الأصلي كان تعليما تقليديا في الجزائر عبّر عن متخيل الجماعة الواحدة بمكوناتها الثقافية، كما مثل لها عمقا تاريخيا وحضاريا امتد إلى عهد الفتوحات الإسلامية والذي حافظ على استمراره حتى في عهد الاستعمار الفرنسي وبقيت أقسامه مفتوحة بعد الاستقلال ممثلا في جهود المؤسسات الاجتماعية والوظيفة التربوية التي كانت تؤديها من جمعيات ومساجد، أبرزها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. هذا العمق التاريخي للتعليم الأصلي أكسبه البعد الوطني ناهيك عن البعد الثقافي الذي أشرنا إليه، حيث وفر فرصة التربية والتعليم لعديد الجزائريين أمام الفرص الضئيلة التي فتحتها أمامه أبواب المدرسة العمومية الفرنسية في الجزائر آنذاك. ومع استرجاع السيادة الوطنية كان واجهة أصيلة عن ثقافة المجتمع، شملته السياسة التربوية الوطنية بالإصلاحات ليواكب الأنظمة التربوية الحديثة دون أن يفقد من أصالته شيئا.

7. خاتمة:

تعبّر تجربة التعليم الأصلي عن مشروع تربوي، جدد هياكل التعليم التقليدي، ومثل في نظر العلّامة مولود قاسم وسيلة لبناء الأمة. جمع في نهضته بين الأصالة والمعاصرة. وقد استعرضنا جانبا مهما من الإصلاحات التي شهدها تحت مسمى التعليم الأصلي.

خلص البحث إلى النتائج التالية: أولا، التجديد في محتوى المناهج التربوية في تدريس الدين، يساهم في تكوين ديني سليم للأفراد، ناهيك أن الأهداف الجديدة لمعاهد التعليم الأصلي لاحقا هو تكوين علمي يتحلى صاحبه بأخلاق الإسلام. مما يؤكد صحة الأطروحة الأولى. لقد استعرضنا عمل الوزارة الوصية التي طورت التعليم الديني من حيث البرامج، الأطوار التعليمية والجانب المؤسساتي. أما الثانية فكون السياسات الوطنية في مجال التربية والتعليم تسهم في تخريج أجيال متعلمة تحمي الفرد والمجتمع وتحفظ استقراره، واعية لمسؤولياتها المجتمعية. فلقد توافقت سياسة التربية الوطنية وتوجه القائمين على التعليم الأصلي بوزارة الأوقاف، مما يثبت صحة الأطروحة الثانية، التعليم الأصلي يعزز الانتماء إلى الهوية الواحدة ويثبتها.

خلص البحث بدوره إلى أن :

*التعليم الأصلي سدّ جزءا من الطلب الاجتماعي على التعليم لفئة تجاوزت السن القانونية للالتحاق بنظام التعليم العام في المدارس الابتدائية.

*مؤسسات التعليم الأصلي أثرت على الأصل الاجتماعي لتلامذتها وطلابها، في تحقيق الترقية الاجتماعية وتحسين وضعهم المادي.

8. قائمة المراجع:

الابراهيمي، البشير (2007). عيون البصائر. الجزائر. دار الأمة.

الشريف عبد المجيد (1971). التعليم الأصلي في الجزائر. *الأصالة*. العدد 4.

الصغير بلعلّام، محمد (1972). السلك الديني في الجزائر خلال العشر سنوات: واجبات وحقوق. *الأصالة*. العدد 8.

درّار، أحمد (1972). التعليم الأصلي في الجزائر. *الأصالة*. العدد 8.

رشيق وآخرون، أحمد (2022). نحو إعادة إحياء مدرسة التعليم الأصلي: قراءة تحليلية في تجربة الإصلاح التربوي عند مولود قاسم نايت بلقاسم. *المعيار*. العدد 4.

شبوب، عثمان (1972). *الأصالة*. العدد –.

Bormans, M. (1972). Le Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses en Algérie et son activité culturelle, *Orient*. (7-8).

Turin, Y. (1973). La culture dans l 'authenticité et l 'ouverture au Ministère de l 'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses, *Les Annales de l 'Afrique du Nord*. (-).

تاحي، إسماعيل (2007). مولود قاسم نايت بلقاسم: نضاله السياسي ونظرته للهوية 192–1992. رسالة ماجستير. جامعة قسنطينة. قسنطينة.

قترار، نعيمة (2005). سوسيولوجيا المثقفين في الجزائر: وضعية ومكانة خريجي معاهد التعليم الأصلي ' معهد بلكين بحسين داي'. رسالة ماجستير. جامعة الجزائر. الجزائر.

مغربلي، عيد القادر (2016). التعليم الفرنسي في الجزائر: 1962-1965. رسالة ماجستير. جامعة الجزائر 2. الجزائر.

الجريدة الرسمية (1976). الأمر رقم 76-35.

الجريدة الرسمية (1971). المرسوم رقم 71-299.

الجريدة الرسمية (1968). المرسوم رقم 68-187.

النشرة الرسمية لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف (2010). العددان 20/19.

Journal Officiel de la République Française(1962). Ordonnance N° 62-952.

عيلان، محمد (2022). جامعة قسنطينة (1969 ـ 1975) بمناسبة مرور نصف قرن على تأسيسها التأسيس لنظام تعليم مواز. الرابط: https://elbassair.dz تاريخ الولوج 2023.09.01

لجنة الأمم المتحدة للخدمات الاقتصادية والاجتماعية ESCWA. (2003). المصطلح: المؤسسات التعليمية. الرابط: https://www.unescwa.orgتاريخ الولوج 2024.04.20

References :

al-Ibrāhīmī, al-Bashīr (2007). ‘Uyūn al-Baṣā’ir. al-Jazā’ir. Dār al-ummah.

al-Sharīf ‘Abd al-Majīd (1971). al-Ta‘līm al-aṣlī fī al-Jazā’ir. al-aṣālah. al-‘adad 4.

al-Ṣaghīr bl‘llām, Muḥammad (1972). al-silk al-dīnī fī al-Jazā’ir khilāl al-‘ashr sanawāt : wājibāt wa-ḥuqūq. al-aṣālah. al-‘adad 8.

Darrār, Aḥmad (1972). al-Ta‘līm al-aṣlī fī al-Jazā’ir. al-aṣālah. al-‘adad 8.

Rashīq wa-ākharūn, Aḥmad (2022). Naḥwa i‘ādat Iḥyā’ Madrasat al-Ta‘līm al-aṣlī : qirā’ah taḥlīlīyah fī tajribat al-iṣlāḥ al-tarbawī ‘inda Mawlūd Qāsim Nāyit Balqāsim. al-Mi‘yār. al-‘adad 4.

Shbwb, ‘Uthmān (1972). al-aṣālah. al-‘adad-.

Tāḥy, Ismā‘īl (2007). Mawlūd Qāsim Nāyit Balqāsim : niḍālahu al-siyāsī wnẓrth lil-huwīyah 192-1992. Risālat mājistīr. Jāmi‘at Qusanṭīnah. fsnṭynh.

Qtrār, Na‘īmah (2005). Sūsiyūlūjiyā al-muthaqqafīn fī al-Jazā’ir : waḍ‘īyat wa-makānat Khirrījī Ma‘āhid al-Ta‘līm al-aṣlī 'Ma‘had blkyn bḥsyn Dāy'. Risālat mājistīr. Jāmi‘at al-Jazā’ir. al-Jazā’ir.

Mghrbly, ‘Īd al-Qādir (2016). al-Ta‘līm al-Faransī fī al-Jazā’ir : 1962-1965. Risālat mājistīr. Jāmi‘at al-Jazā’ir 2. al-Jazā’ir.

al-Jarīdah al-Rasmīyah (1976). al-amr raqm 76-35.

al-Jarīdah al-Rasmīyah (1968). al-marsūm raqm 68-187.

al-Nashrah alrsmىh li-Wizārat al-Shu’ūn aldىnىh wa-al-Awqāf (2010). al-‘adadān 19/20.

‘Aylān, Muḥammad (2022). Jāmi‘at Qusanṭīnah (1969 1975) bi-munāsabat murūr niṣf qarn ‘alá ta’sīsihā al-ta’sīs li-niẓām t‘lym mwāz. alrābṭ : https : / / elbassair. dz Tārīkh alwlwj 2023. 09. 01

Lajnat al-Umam al-Muttaḥidah lil-Khidmāt al-iqtiṣādīyah wa-al-Ijtimā‘īyah ESCWA. (2003). al-muṣṭalaḥ : al-mu’assasāt al-ta‘līmīyah. alrābṭ : https : / / www. unescwa. orgtārykh alwlwj 2024. 24. 20